وتقوم دعائم هذه الأسلوبية على ما يلي:

- ✓ ضرورة وجود سمات أسلوبية قابلة للحصر والإحصاء في النص المدروس.
- ✓ البحث عن الأسباب وراء تكرار تلك السمات.
- ✓ اعتماد الجداول، والدوائر النسبية، ولغة الأرقام في العملية الإحصائية.

ويعتبر سعد مصلوح، ومحمد الهادي الطرابلسي، من أهم النقاد العرب المولعين بهذا المنهج .

المدارس المؤسسة لعلم الأسلوب

ارتبط علم الأسلوب بالتطور الذي حدث في الدراسات اللغوية في بداية القرن العشرين، والتي كانت خاضعة للتطور الفلسفي والفكري ؛حيث كان هناك اتجاهان: الأول مادي: يعتبر اللغة شيئا ماديا، يستحيل فكه إلى أجزاء متباينة، والثاني وضعي: يهتم بدراسة الأسباب المباشرة للظواهر،وإن كانت بطبيعتها تطورية تاريخية[1]

ولهذا، وجب علينا تفتيت هذين الاتجاهين، لنتبين الأسس التي قامت عليها الاتجاهات الأسلوبية فيما بعد.

[1] ينظر: صلاح فضل،علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته،دار الشروق، القاهرة ،ط1(1419هـ، 1998) ص12

أ–التيار المادي Materialism: وهو في الفلسفة قائم على الخصائص التالية:

–اعتبار المادة المكون الأساسي للطبيعة، وإن كل الأشياء مهما كان نوعها،حتى وإن بدت في ظاهرها غير مادية، كالوعي، والإحساس، والشعور، ما هي في الأخير إلا نتيجة تفاعل عناصر مادية.

–تعتبر الفلسفة المادية العقل، والوعي، والإدراك، وكل العمليات الذهنية، حقائق من الدرجة الثانية؛ كونها تابعة لتفاعلات مادية من الدرجة الأولى

–المادة هي التي تحدد الوعي ،وبذلك الفكر، وكل العمليات العقلية.

وقد أتت المادية كرد فعل على التيار الميثالي الغارق في الأمور الماورائية، والتي ضاق بها الغرب ذرعا،خصوصا في العصور الوسطى وتسلط الآباء الروحيين في الكنائس وغيرها من دور العبادة.

وقد كان الانتفاض على الميثالية بالدرجة التي تحكمت فيها على العقول وغيرها–فلكل فعل رد فعل، مساوي له القوة ،ومعاكس له في الاتجاه– ولهذا تفرعت المادية إلى العديد من الماديات ، وهي ليست مجال درسنا هذا.

التيار المادي في اللغة:

لم يكن تأثير التيار المادي بسيطا، فقد انتشر وذاع، وأكثر من ذلك، فقد استلهمته العديد من الاختصاصات في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وكان علم اللغة والأدب من تلك العلوم.

وعلى هذا الأساس، وجب علينا النظر في أهم المنطلقات المعتمدة في دراسة اللغة، لنتبين وجهات النظر تلك وحقيقتها.

وينبغي علينا أن نشير هنا، إلى أن هذا التيار قد تعددت مسمياته ،ولكن الجوهر واحد. فهناك من سماه التيار الوضعي ، وهناك من يسميه التيار البنيوي، ولا غرو في تعدد الأسماء ما دام الجوهر واحدا.

وفي الدراسات اللغوية والأدبية، يسمى هذ التيار **بالتيار البنيوي**، وأهم منطلقاته ما يلي:

- ✓ يعمد البنيويون إلى مبدأ استكشاف الظاهرة البنائية في اللغة.
- ✓ يتفق البنيويون على ضرورة تفتيت عناصر اللغة، ومكوناتها بدءا من أصغر وحدة لغوية وهي الصوت.
- ✓ اعتبار التصنيف والتقسيم عملا ماديا، لا علاقة للجانب الذاتي فيه.
- ✓ عدم الاعتداد بالمعنى، فهو ذو جانب ذهني، وخاضع للجانب المادي.
- ✓ لكل لغة بنيتها ،والمهم اكتشاف البنية، وهي ليست موحدة في لغات العالم.

لقد كان هم علم اللغة هو إقامة تصورات علمية للغة، تماثل ما هو موجود في العلوم الطبيعية، فيتم تشريحها بدءا من الأصوات ،مرورا بالجانب المعجمي ، وصولا عند الجانب التركيبي، لعلها تحقق العلمية المنشودة ،وكان هذا الأمر في بدايات علم اللغة.

الأسلوبية وفق المنظور البنيوي

انطلاقا من المبادئ سالفة الذكر، فقد تمت محاولة دراسة الأسلوب وفق تلك المبادئ و الأفكار، خصوصا عند المؤسسين الأوائل لعلم الأسلوب ،والمقصود تلامذة دي سوسير، والذين يأتي على رأسهم شارل بالي، فقد أسس هذا الأخير أسلوبية مادية، قائمة على تلك المبادئ .وأسسها يمكن إجمالها فيما يلي:[1]

- ✓ الأسلوبية عندهم سمات وخصائص داخل لغة ما.
- ✓ رصد هذه السمات يكون وفق مستويات لغوية منتظمة (صوت، معجم، تركيب) .
- ✓ إقصاء الجانب الدلالي.
- ✓ الاعتماد على الكلام.

لكن شارل بالي لم يلتزم بهذه المبادئ مطلقا، بل أدخل عليها العديد من التعديلات ؛فأبرز أهمية اللغة المكتوبة ،كما أشاد بالقيم العاطفية المشحونة التي

[1] ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ص 65

يمكن للأسلوب أن يبرزها ،وهو ما أشاد به تلاميذه جول ماروزو، ومارسيل كريسو.

نقد هذا الاتجاه:

الأسلوب ظاهرة فردية، وذو طبيعة نفسية، فأين محله في الدراسة في هذه المدرسة؟

الاتجاه الثاني: الاتجاه المثاليIdealism :

الميثالية في الفلسفة: هي موقف فلسفي نظري وعملي، يرد كل ظواهر الوجود إلى الفكر، أو يجعل من الفكر منطلقا لمعرفة الوجود أو الحقيقة مؤكدا على أسبقية المثال (بكل معانيه) على الواقع. هو المذهب القائل بأن حقيقة الكون أفكار وصور عقلية، وأن العقل مصدر المعرفة، على عكس المادية(Materialism). فأفلاطون مثالي، بتصوره عالما عقليا، قوامه أفكار بمثابة النماذج للموجودات الجزئية المادية التي في عالمنا المحسوس، والعالم العقلي عنده هو الحق، أما العالم المحسوس فأشبه بالظلال. و باركلي مثالي بقوله إن حقيقة الشيء هي إدراك العقل له، وما لا يدركه العقل عدم. و كانت kantمثالي حين جعل المقولات العقلية شرطا للمعرفة. و هيجل مثالي حين قال إن حقيقة الكون روح مطلق يعبر عن نفسه في الوجود المشهود.

وهو نقيض الاتجاه السابق،وأهم فكرة ينبني عليها، هو اعتراضه على فكرة أن اللغة جوهر أو مادة،بل هي مجموعة من العمليات والإجراءات الفردية، الخاضعة للقوانين النفسية والاجتماعية التي تؤثر بدورها على الأفراد المبدعين للغة والمتقبلين لها؛ فهي إذن خاضعة بشكل مباشر لهؤلاء الأفراد لظروف حياتهم ومزاجهم وثقافتهم وعمرهم وجنسهم وغير ذلك من العوامل المؤثرة فيهم"

ويعتبر كارل فوسلير وليوسبتزر من رواد هذا الاتجاه وينطلقان من النقاط التالية:[1]

- ✓ عدم الاعتداد بالوقائع كهدف في ذاتها
- ✓ رفضهما إقامة علاقات سببية بين الظواهر المنفصلة
- ✓ ضرورة النظر إلى اللغة في علاقتها بالروح التي أبدعتها، أي في أسلوبها"فالمبنى ليس مجرد كومة من الطوب والخشب والإسمنت والحديد،بل هو تصميم من خلق الروح التي أرادته وتصورته ونفذته.

وعلى هذا الأساس فقد بنى ليوسبتسر أسلوبيته على ما يلي:

- ✓ تنطلق هذه الأسلوبية من نتاج وإبداع الفرد، وليس من الجماعة ومن اللغة الفردية الأدبية، وليس من اللغة الجماعية[2].

[1] صلاح فضل،علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ص13

[2] عمر أوكان: اللغة والخطاب، ص171.

- ✓ تتجاوز البحث في أوجه التركيب اللغوي ووظائفه في النسيج اللغوي إلى العلل والأسباب الفردية.
- ✓ المنهج النفساني ينبع من الإنتاج وليس من مبادئ مسبقة يسقطها الناقد على النص.
- ✓ الإنتاج الأدبي عمل متكامل، والبحث ينصب في الالتحام الداخلي في نفس وروح الكاتب.
- ✓ تحكيم الحدس في البحث عن محور العمل الأدبي، وهذا الحدس يستند إلى الموهبة والتجربة.
- ✓ الإيمان بالتحول اللفظي اليومي المستمر، والمعبر عن مقاصد المتكلم.
- ✓ رصد مواقع ووقائع الكلام، واكتشاف الانحراف الفردي، والأسلوب الخاص.
- ✓ الإنزياح أو العدول ظاهرة انتقالية بين النصوص.

الاتجاه الثاني

ضم مجموعة من اللغويين الفرنسيين ومن أهم مبادئه:

- ✓ رفض اعتبار اللغة جوهرا ماديا خاضعا لقوانين الطبيعة.
- ✓ اعتبار اللغة خلقا إنسانيا ونتاجا للروح البشرية.
- ✓ اللغة مجموعة من الرموز وأداة للتوصيل هدفها نقل الفكر.
- ✓ اللغة مادة صوتية لكنها ذات طابع نفسي واجتماعي.

غير أن هذه المدرسة لم تحتفل بالأسلوب الفردي؛ باعتباره عملا حرا منعزلا يستعصى على الملاحظة والتحليل والتصنيف.بينما أولت عناية كبرى للأساليب الجماعية، وللوقائع اللغوية في علائقها بالطوائف الاجتماعية والثقافية والقومية التي تستخدمها، وهي بذلك تلتقي مع الميثالية الألمانية

وتأسيسا على كل ما سبق ، نجد أن هناك اتجاهين في علم الأسلوب هما:

أ- علم أسلوب التعبير

ب- علم الأسلوب الفردي

والفرق بينهما يكمن في الآتي:

- ✓ علم أسلوب التعبير لا يخرج عن نطاق اللغة ، ولا يتعدى وقائعها في حد ذاتها. أما علم الأسلوب الفردي، فهو يدرس نفس هذا التعبير في علاقته بالأشخاص المتحدثين به.
- ✓ علم أسلوب التعبير يعتد بالأبنية اللغوية، ووظائفها داخل النظام اللغوي. في حين يبحث علم الأسلوب الفردي في بواعثها، وأسبابها محاولا تحديدها.
- ✓ علم أسلوب التعبير وصفي بحت، في حين علم الأسلوب الفردي توليدي
- ✓ علم أسلوب التعبير يهتم بالنتائج ، ويتوقف على علم الدلالة، ودراسة المعاني في ذاتها، في حين يعنى علم الأسلوب الفردي بالمقاصد.

والجامع بينهما يتمثل في اعتمادهما على علم اللغة

الأسلوبية ولسانيات النص

إن محاولة ربط الوشائج بين الأسلوبية ولسانيات النص، يتطلب منا في البداية تقديم مفهوم واضح على الأقل لمفهوم النص،ثم طرح ما أقامته الدراسات النصية من مبادئ، وما تبنته من إجراءات لنتمكن في الأخير من تحديد طبيعة العلاقة بين الأسلوبية ولسانيات النص.

1–تعريف النص: